



مركز حرمون
للدراسات المعاصرة
Harmoon Center
For Contemporary Studies

من شبه الجزيرة العربية إلى بلاد الشام: القبائل العربية والحرب السورية

تريخيات



من شبه الجزيرة العربية إلى بلاد الشام: القبائل العربية والحرب السورية

From the Arabian Peninsula to the Levant Arab Tribes and the Syrian War	اسم المادة الأصلي
بول أنتونوبولوس ودرو كوتل، Paul Antonopoulos and Drew Cottle	الكاتب
Global Journal of Archaeology & Anthropology، تموز/ يوليو 2018	مكان النشر وتاريخه
https://juniperpublishers.com/gjaa/GJAA.MS.ID.555656.php	الرابط
5282	عدد الكلمات
وحدة الترجمة/ أحمد عيشة	ترجمة

الآراء الواردة في هذه الدراسة لا تعبر بالضرورة عن رأي المركز ومواقفه من القضايا المناقشة



المحتويات

4	الملخص
5	مقدمة
6	منظور تاريخي
9	القبائل في الحقبة البعثية
11	التنظيم القبلي
13	القبلية والصراع في سورية
15	الولاءات المكتشفة
18	القبائل وصعود داعش
20	الخاتمة



الملخص

على الرغم من أن النظام القبلي العربي في سورية يلعب دورًا حاسمًا في النسيج الاجتماعي والثقافي والاقتصادي للدولة، فإنه لم يلق سوى قليل من الاهتمام العلمي بدوره الحاسم في الحرب السورية. تقدّم الدراسة شرحًا مفصلاً عن طبيعة النظام القبلي المعقد في سورية والمنطقة الأوسع، وشرحًا عن أصوله التاريخية، وتكشف ردود الفعل القبلية على الحرب السورية التي بدأت في عام 2011. ومع وجود العشرات من الجماعات المسلحة المختلفة العاملة في سورية، في سياق تعقيدات الحرب، يُلاحظ أن هناك تجاهلاً لعناصر القبلية، إذ يُستبدل به تحليل دور دولي مثل الولايات المتحدة وروسيا وتركيا، على سبيل المثال لا الحصر، فضلاً عن أدوار الجهات الفاعلة غير الحكومية، مثل حزب الله والقاعدة والدولة الإسلامية في العراق وسورية (داعش). وتبيّن هذه الورقة دور القبائل العربية، والجهات التي قدّمت إليها بعض القبائل ولاءها، والأسباب التي دفعت بعض القبائل إلى معارضة الوضع الراهن في سورية.

الكلمات المفتاحية: سورية؛ القبائل العربية؛ البدو؛ الحرب السورية؛ داعش؛ البادية؛ الجيش البريطاني؛ الحرب العالمية؛ المجتمعات القبلية؛ الصحراء؛ الجزيرة؛ الفرات؛ شبه الجزيرة؛ العقد الاجتماعي؛ الكتيبة؛ الشرق

مقدمة

في عام 1916، في خضمّ الحرب العالمية الأولى، سافر ضابط ارتباط شاب، الملازم لورانس من الجيش البريطاني، إلى مدينة جدّة التي تقع اليوم في المملكة العربية السعودية، للقاء فيصل، الابن الثالث لحسين بن علي، شريف مكة الإسلامية المقدسة. في ذلك الاجتماع، أشعل فتيل ثورة عربية ستغيّر المنطقة بأكملها. سيُعرف هذا الضابط الشاب لاحقًا -على المستوى الدولي- باسم "لورنس العرب". شنّ عرب المنطقة تمرّدًا مسلّحًا ضد الدولة العثمانية، مدفوعين بالوعد البريطاني بقيام دولة عربية مستقلة، التي أصبحت تُعرف بالتزامات مكماهون⁽¹⁾. ولم تكن تلك الدول تنوي قط الوفاء بهذه الوعود، حيث تفاوضت بريطانيا العظمى وفرنسا سرًا في سياق اتفاقية سايكس بيكو التي ستُحدد الطموحات الإقليمية لكلتا القوتين في الشرق الأوسط بعد هزيمة العثمانيين⁽²⁾، تاركين الاتفاقية الموقّعة مع العرب حبرًا على ورق.

تركت لنا هذه الحلقة من التاريخ ملاحظتين ستشكلان وتميزان مستقبل المنطقة بأكملها، منذ الحرب العظمى حتى الوقت الحاضر: التدخل المستمر للقوى الأجنبية، والأهمية الإستراتيجية للمجتمعات القبلية. ومن هنا تستكشف هذه الدراسة أحد جوانب الحرب السورية التي لم تنل دراسة كافية، وهي القبائل العربية ومواقعها في الحرب، مع الأخذ في الحسبان أن التشكيلات القبلية تمثّل ما يقرب من (60 و70) في المئة من إجمالي سكان سورية⁽³⁾.

(1) Dennis Ross (2004) *The Missing Peace: The Inside Story of the Fight for Middle East Peace*. Macmillan, New York, USA, p. 31-32.

(2) Megan Donaldson (2016) *Textual Settlements: The Sykes–Picot Agreement and Secret Treaty-Making*. *American Journal of International Law* 110: 127–131.

(3) Akil Hussain (2018) *Division Defines Syria's Tribes and Clans*, Chatham House, London.



منظور تاريخي

يشير مفهوم (البدو) تاريخياً إلى الجماعات القبلية والمجتمعات الزراعية العربية التي تنحدر من قبائل شبه الجزيرة العربية⁽⁴⁾، جنوب بلاد الشام تماماً، حيث تقع سورية في الشرق الأوسط. تدل كلمة (البدو) على "ساكني الصحراء". ويمكن ترجمته إلى بدوي bedawi أو بدوي badawi أو بدو bedu أو بادية badiya، التي تعني حرفياً الصحراء⁽⁵⁾. تمثل تلك الصحارى، والمناطق القاحلة الأوسع في سورية، نحو (80) في المئة من أراضي البلاد⁽⁶⁾. وبشكل خاص، تعيش القبائل في سورية في ثلاث مناطق جغرافية كبيرة: البادية (الصحراء/ السهوب)؛ الجزيرة (شرق الفرات)؛ حوران (في الجنوب)⁽⁷⁾.

في بداية القرن الثامن عشر، كانت هناك هجرة مهمة للجماعات القبلية، من المملكة العربية السعودية نحو سورية والعراق، بتقسيم الدول حالياً. وكانت أسباب هذه الهجرة إما الخوف من نوع من الطاعون، وإما ظهور الحركة الوهابية المقاتلة⁽⁸⁾. كانت موجة الهجرة هذه مكونة من اتحادين قبليين كبيرين: شمر وعزة. عبرت معظم قبيلة شمر نهر الفرات إلى الشمال الغربي من سورية والعراق، وبقيت هناك أقلية في شبه الجزيرة العربية⁽⁹⁾. نشأت جماعة عززة في "البادية" السورية. ويضم هذا الاتحاد قبائل مثل الحسنة والرولة والعكيدات والفيضان والسباع⁽¹⁰⁾. تحتفظ كثير من هذه القبائل بعلاقات مهمة مع شبه الجزيرة العربية، حتى مع العائلة المالكة السعودية المنحدرة من قبيلة الحسنة، ولديها أواصر دموية مع قبائل أخرى مثل الرولة⁽¹¹⁾. على أي حال، فإن حركة الهجرة لهذين الاتحادين القبليين الكبيرين التي كانت تسعى جاهدة بشكل أساسي لرمي الإبل، أثار أول انقسام بين القبائل. وتدرجياً اضطرت القبائل الأخرى إلى التوجه نحو المراكز التجارية في سورية. وتحت الحكم العثماني، أصبحت تلك القبائل قويةً ومستقلةً، وأعلن أنهم قبائل نبيلة/ أصيلة (asil)⁽¹²⁾. وانتقلت القبائل الأخرى التي كان نشاطها الرئيس هو تربية الأغنام إلى أطراف المدن الكبرى، ودفعت الضرائب للسلطات العثمانية التي عرّفتهم على أنها قبائل غير أصيلة أو عادية⁽¹³⁾. ومن القبائل الأخيرة، قبائل الحديديين والموالي في سورية.

(4) Aron Lund (2018) Syria's Bedouin Tribes: An Interview with Dawn Chatty, Carnegie Middle East Center, Lebanon.

(5) Martin J Gannon (2004) Understanding Global Cultures: Metaphorical Journeys Through 28 Nations, Clusters of Nations, and Continents. Thousand Oaks: Sage, p. 69.

(6) Aron Lund (2018) Syria's Bedouin Tribes: An Interview with Dawn Chatty. Carnegie Middle East Center, Lebanon.

(7) Tareq al-Abd (2013) Tribalism and the Syrian Crisis.

(8) Alfredo Camposga (2018) ribalismo en el conflicto de Siria: el contrato tribal. Descifrando La Guerra.

(9) Ahmad Wasfi Zakariya (1945) Ashair al-Sham, Damascus: Matb'at Dar al-Hilal, pp. 617.

(10) Aron Lund (2018) Syria's Bedouin Tribes: An Interview with Dawn Chatty, Carnegie Middle East Center,

(11) Alfredo Camposga (2017) Tribalismo en el conflicto de Siria: el contrato tribal, Descifrando La Guerra.

(12) Karen Elliot House (2012) On Saudi Arabia: Its People, Past, Religion, Fault Lines - and Future, Alfred A. Knopf, New York, USA, p. 67.

(13) Aron Lund (2015) Syria's Bedouin Tribes: An Interview with Dawn Chatty, Carnegie Middle East Center, Lebanon.

بدأ تنظيم المجتمعات القبلية في سورية يتأثر بشدة بسلطة مركزية في حلب ودمشق، منذ عهد الإمبراطورية العثمانية، حيث تقرر تثبيتها إداريًا في شرق سورية، ضمن الإطار الإصلاحي للتنظيم⁽¹⁴⁾. كانت الإستراتيجية العثمانية هي إخضاع القبائل أو اجتذابها من خلال الإصلاحات السياسية والاقتصادية. بدأت بعض القبائل دفع الضرائب للولاة العثمانيين في المدن الكبيرة، مثل حلب أو دمشق، مقابل امتيازات عدة منها إعفاء أبنائهم من الخدمة العسكرية⁽¹⁵⁾. في ذلك الوقت، بدأ العثمانيون عملية شراء ولاء بعض زعماء القبائل، مما شجع على المنافسة للحصول على "مزايا" السلطة المركزية، وهو أمر مستمر في التاريخ السوري.

في ظل الانتداب الفرنسي (1920-1946)، وسّعت القوة الاستعمارية سلطتها وسيطرتها. في البداية، اتخذوا تدابير لمنع توغلات القبائل البدوية في المناطق المستعمرة في غرب سورية⁽¹⁶⁾. شاركت بعض القبائل في الثورات الوطنية السورية في 1925-1927⁽¹⁷⁾. في بداية عام 1930، حاول الفرنسيون إعادة تنظيم بنية المجتمعات القبلية بالكامل، وكسب دعم القبائل لنزع فتيل المشاعر الوطنية⁽¹⁸⁾، حيث بدأت السلطات الفرنسية في دفع إعانات لزعماء القبائل، ومنح حقوق الرعي وملكية الأراضي لبعض القبائل، ومنع رجال القبائل من حمل السلاح في المناطق المستعمرة، وطالبت القبائل بدفع الضرائب⁽¹⁹⁾.

في الوقت نفسه، خصّصت تسعة مقاعد في مجلس الشعب (البرلمان) لأعضاء بعض القبائل القوية⁽²⁰⁾. قوّضت هذه الإجراءات سلطة زعيم القبائل، وزادت من سلطة الدولة وأمنها. واستشير زعماء القبائل بخصوص الدفاع عن النفس الذي كان يعتمد على استمرار الدعم الحكومي للقبائل. وجعلت هذه التغييرات زعماء القبائل أقلّ اعتمادًا على طاعة مجتمعاتهم للحفاظ على سلطتهم، من خلال قدرتهم الجديدة على الاستغناء عن الدعم والرعاية patronage داخل القبائل. ومن الأمثلة على هذه التغييرات، حالة هجرات قبيلة الحسنة في الثلاثينيات، الواقعة بالقرب من حمص. كانت هذه القبيلة عضوًا في اتحاد عنزة المهتم، الذي رُبط، من خلال روابطه الدموية، بالبيت الملكي لآل سعود في المملكة العربية السعودية⁽²¹⁾.

خلقت التحولات داخل هذه المجتمعات القبلية توسّعًا في وحدات الأسرة الممتدة لقبيلة حسنة المهاجرة (بيوت beits)، لتصبح مستقلة عن السلطات القبلية التقليدية، وتجد قدرًا أكبر من الأمن داخل جهاز الدولة الاستعمارية. خلال الانتداب الفرنسي، أصبح بعض زعماء القبائل أثرياء جدًا، نتيجة التدخل المتزايد للدولة الاستعمارية. وحين سجّلت السلطات الفرنسية ملاك الأراضي في جميع أنحاء سورية الكبرى، تمكّن كثير من رجال القبائل والفلاحين من تجنب الضرائب، من خلال علاقتهم بملاك الأراضي الرئيسيين. ومن الأمثلة على هذا الترتيب، قيام شيخ عشيرة الحسنة، طراد الملحم، بتسجيل أكثر من 20 قرية⁽²²⁾.

(14) Alfredo Camposga (2017) Tribalismo en el conflicto de Siria: el contrato tribal, Descifrando La Guerra, Lebanon.

(15) Ibid.

(16) Aron Lund (2015) Syria's Bedouin Tribes: An Interview with Dawn Chatty, Carnegie Middle East Center, Lebanon.

(17) John Mc Hugo (2011) Syria's deja vu: the revolts of 1925 and 2011.

(18) <https://www.alaraby.co.uk/english/comment/2015/5/15/syriasdeja-vu-the-revolts-of-1925-and-2011>

(19) Dawn Chatty (2014) The Persistence of Bedouin Identity and Increasing Political Self-Representation in Lebanon and Syria, Nomadic Peoples 18(2): 22.

(20) Alfredo Camposga (2018) Tribalismo en el conflicto de Siria: el contrato tribal, Descifrando La Guerra.

(21) Aron Lund (2015) Syria's Bedouin Tribes: An Interview with Dawn Chatty, Carnegie Middle East Center, Lebanon.

(22) Global Security (2016) King Abdullah bin Abdulaziz Al Saud.



مع رحيل الفرنسيين من سورية بعد استقلالها التفاوضي في عام 1946، أُلغيت هذه الترتيبات، تاركة زعماء القبائل كوسطاء وظيفيين بين الدولة المستقلة الجديدة ومجتمعاتهم. حاولت الحكومة الوطنية الجديدة الحدّ من النفوذ القبلي للبدو الذين لم يقدّموا الولاء إلى كل من الدولة -القومية nation-state والأسر الفردية. في عام 1956، أُلغيت الحكومة قانون القبائل الذي منح حصانة قانونية للقبائل الرحل، من ضمنها الحقّ في حمل السلاح⁽²³⁾. خلال فترة الوحدة بين سورية ومصر في عام 1958، تحت زعامة عبد الناصر والحكومة اللاحقة لحزب البعث بين عامي 1963 و1970، كان هناك دافع قوي للدولة للقضاء على المجتمعات القبلية وقادتها. نَقَدَ ناصر هذه السياسة، عبر محاباة الأفراد المضطّهدين من المجتمعات القبلية، من خلال إعادة توزيع الأراضي، وترقية أفراد القبائل هؤلاء إلى مناصب سياسية من خلال عضويتهم في حزب البعث، على حساب السلطة القبلية التقليدية. وإضافة إلى ذلك، أُلغي نظام الرعي التقليدي (hima) والقانون العرفي القبلي (عرف urf). وكذلك، خُفّض عدد المقاعد القبلية التسعة في مجلس الشعب (البرلمان) إلى ستة، منها أربعة مخصصة لقبائل محددة. وُخّص مقعدان كانا لشيوخ قبيلتي الموالي والحديديين، محافظة حلب، أحدهما لزعيم اتحاد شمّر في منطقة الجزيرة، والآخر لقبيلة الحسنة في منطقة دمشق⁽²⁴⁾.

(23) Kheder Khaddour, Kevin Mazur (2017) Eastern Expectations: The Changing Dynamics in Syria's Tribal Regions, Carnegie Middle East Center.

(24) Hanna Batatu (1999) Syria's Peasantry, the Descendants of Its Lesser Rural Notables, and Their Politics. Princeton University Press, Princeton, USA, p. 23.

القبائل في الحقبة البعثية

خَفَّف حافظ الأسد شدة الصرامة التي تعاملت بها السلطات البعثية مع القبائل، عندما أصبح رئيساً عام 1970. وحاول دمج القبائل في النظام السياسي الجديد. في ظلّ رئاسة الأسد، أعاد حزب البعث قدرًا من الاستقلالية لزعماء القبائل، من خلال منحهم بعض السلطة غير الرسمية على مجتمعاتهم، ومنحهم مقاعد في مجلس الشعب (البرلمان). وخصّصت المناصب داخل إدارة الدولة وقوات الأمن لزعماء القبائل الأقوياء، أصحاب السطوة. كان الغرض من هذه المناورات إبطال الميزة العددية لصالح الجماعة السنية، من حيث الانتماءات الدينية القائمة داخل القبائل. ومع ذلك، عندما بدأ زعماء القبائل التخلي عن مجتمعاتهم، مقابل حياة سرية وهادئة في دمشق أو حلب، تأكلت سلطتهم التقليدية، وضعفت قدرتهم على تعبئة الشبكات القبلية.

وبشكل غير رسمي، كانت الصلاحيات الممنوحة لهؤلاء الزعماء القبليين أكبر من ذلك، لأنه بينما كانت الشرطة مسؤولة عن مراقبة الجرائم البسيطة، تُركت الجرائم الخطيرة مثل القتل أو الاغتصاب، لسلطة زعماء القبائل والعشائر، كمسألة تخص مجتمعاتهم المحلية. وقد تجلّى ذلك في القول الشائع من الرقة في شمال سورية: "قَدَم الولاء، وافعل ما تريد Itiwalaawa-ifal ma tashaa"⁽²⁵⁾. لم تتردد الحكومة في استخدام بعض القبائل بطريقة مفيدة لتحقيق مصالحها، على سبيل المثال، تعبئة القوات القبلية لوقف الانتفاضة المسلحة من قبل جماعة الإخوان المسلمين في حماة عام 1982⁽²⁶⁾. مثال آخر كان في عام 1973، عندما شرّدت سلطات الدولة الآلاف من أفراد قبيلة البو شعبان، الذين طُردوا من منازلهم في محافظة الرقة، بسبب بناء سد على نهر الفرات. كان الدافع الخفي لهذه الإزالة القبلية القسرية هو إنشاء "حزام عربي" في المناطق ذات الأغلبية الكردية في سورية، بعد أن هاجرت الأخيرة بشكل جماعي إلى البلاد، قبل عقود، من الولايات العثمانية الأخرى التي تقع في تركيا اليوم⁽²⁷⁾.

بعد صعود بشار الأسد، نجل حافظ، إلى الرئاسة، اتبعت العلاقات بين الدولة والقبائل نمطًا مشابهًا. وأصدر الرئيس الجديد أمرًا تنفيذيًا لخصخصة جميع مزارع الدولة، فأتاح ذلك لزعماء القبائل الذين فقدوا عقارات كبيرة، بموجب قوانين إعادة التوزيع في الستينيات، استعادة ممتلكاتهم وزيادتها⁽²⁸⁾. أنشئت سلسلة من شبكات العملاء التي أثرت زعماء القبائل، لكنها لم تُفد أعضاء الشبكات الآخرين. وكانت الامتيازات والمزايا الاقتصادية التي منحتها الدولة لزعماء القبائل تطالب في المقابل بطاعة المجتمعات الواقعة تحت سيطرتهم، وكان هذا هو صيغة سورية لما يمكن تسميته بـ "العقد القبلي"، مقابل "العقد الاجتماعي" الذي صاغه جاك روسو في القرن الثامن عشر⁽²⁹⁾. وعلى الرغم من هذا الترتيب، تضرر السكان البدو في البادية

(25) Aron Lund (2015) Syria's Bedouin Tribes: An Interview with Dawn Chatty, Carnegie Middle East Center, Lebanon.

(26) Alfredo Camposga (2017) Tribalismo en el conflicto de Siria: el contrato tribal, Descifrando La Guerra.

(27) Haian Dukhan, Tribes and Tribalism in the Syrian Uprising, Syria Studies 6(2): 6.

(28) Barak Barfi (2013) The Fractious Politics of Syria's Kurds, The Washington Institute for Near East Policy, USA.

(29) Raymond Hinnebusch, Tina Zintl (2015) Syria from Reform to Revolt: Political Economy and International Relations, Syracuse University Press, Syracuse, New York, USA, 1: 13.



بشدة من البطالة، بسبب اعتمادهم على الزراعة والثروة الحيوانية. عانت هذه القبيلة عواقب الجفاف الشديد الذي أدى إلى الانهيار الكامل للاقتصاد الريفي في شرق سورية وجنوبها.

التنظيم القبلي

تنقسم القبائل العربية في سورية إلى قبائل qabilas (اتحادات قبلية وطنية وعابرة للحدود الوطنية)، وعشائر (قبائل فردية). وتنقسم العشائر أيضاً إلى فخود (عشائر)، أو خمس، أو أبناء العم (أنساب)، وفي أدنى التصنيفات، عند البيت أو العائلة (العائلات الممتدة). توجد العشائر عادةً في منطقة معينة من البلاد، مثل عشائر الحديدين في شمال غرب حلب وإدلب؛ والموالي في إدلب؛ والدماخلة في إدلب وحماة وحلب والرقبة؛ وبنو خالد في غرب حمص وحماة؛ والزعبي في درعا وعلى طول الحدود مع الأردن⁽³⁰⁾. بني التنظيم القبلي على أساس مفهوم الأسرة التقليدية الأبوية patriarchal، التي شكّلت تاريخياً مجموعات شبيهة مستقلة من الناس تربطهم روابط الدم، وترعى الحيوانات داخل أراضيها.

السمة المميّزة لكلّ عشيرة هي وجود سلف (جد) مشترك، يربط بين جماعات أو فروع مختلفة تشترك بالانتماء إلى ذلك السلف البعيد. كلّ مجموعة قبلية، من أصغر إلى أكبر اتحاد، عادة ما تشترك في اسم الجد (السلف) المشترك الذي من المفترض أنه أسس المجموعة المعيّنة⁽³¹⁾. يُعرّف المجتمع القبلي نفسه من حيث القرابة، حيث إن أنماط سلوكه، سواء داخل المجموعات أم فيما بينها، محكومة بعلاقات القرابة⁽³²⁾. كما عمل نظام القرابة أيضاً على تعديل العلاقات بين العشائر المختلفة ومجموعات العشائر. ويقف الفرد في مركز دوائر متزايدة الاتساع من علاقات القرابة التي ترتبط، على الأقل من الناحية النظرية، بجميع أفراد القبيلة الآخرين في منطقة معينة من البلاد. تحدّد مكانة الفرد داخل العشيرة منذ ولادته، وفقاً لعلاقة القرابة مع بقية أفراد المجموعة.

ميزة أخرى للمجتمعات القبلية، بسبب تماسك المجموعات الدينية والعرقية، هي زواج الأقارب، أو زواج الأعضاء داخل مجموعتهم. الأنساب، أو مجموعات العائلات التي تتبع ذريتها إلى سلف (جد) مشترك، مشروطة أيضاً بزواج الأقارب، مع أن هذا في الواقع أقل شيوعاً، على الرغم من جاذبيته من الناحية النظرية. نظراً لكونه رابطاً عملياً بين العائلات، غالباً ما يكون للزواج دلالات سياسية واقتصادية حتى بين أفقر أفراد المجتمعات القبلية. تعتمد مجموعة الأسرة القبلية، والمزمل الفردي، على روابط الدم بين الرجال. يتكون البيت القبلي النموذجي من ثلاثة أجيال تعيش معاً تحت سقف واحد: الزوجان المسنان، وأطفالهما المتزوجون، وزوجات آبائهم والأصهار، وأخيراً الأحفاد والحفيدات العازبات، إضافة إلى الأقارب الآخرين من جهة الأب. يستجيب هذا النمط لما نسميه الأسرة الممتدة. عند وفاة رب الأسرة، يقوم الأطفال البالغون بإنشاء منازلهم المنفصلة الخاصة بهم. ومن الطبيعي أن يتم الزواج ضمن النسب، ومن المؤلف أن يكون ابن شقيق الأب، ابن العم الأول، هو الشخص المؤهل للزواج. هذه الممارسة شائعة بين العرب السنة والأكراد والتركماني، وتحدث داخل الطبقات الاجتماعية الريفية، ولكنها نادرة في المدن الكبيرة.

(30) Jean Jacques Rousseau (1947) Social Contract, New York, Hafner, USA, p. 1.

(31) Nicholas A Heras, Carole A OLeary (2013) The Tribal Factor in Syria's Rebellion: A Survey of Armed Tribal Groups in, The Jamestown Foundation, Syria.

(32) Jan Retso (2003) The Arabs in Antiquity: Their History from the Assyrians to the Umayyads, Routledge Curzon, Abingdon, England, UK, p. 30.



يبقى نظام انتخاب/ انتقاء أفراد القبائل ثابتًا، وتحكمه الأعراف التقليدية مثل النظام الأبوي، على الرغم من التحولات والتغيرات الاجتماعية المختلفة التي حدثت عبر التاريخ. ضمن القبيلة، هناك سلالة عشائرية واحدة فقط هي التي تولد/ تنتج زعيمها أو «الشيخ». ولهذه العائلة «بيت المشيخة -beit al-ma-shaykha» أو «بيت العشيرة -beit alashira» مكانة مهمة في المجتمع. يمكن لأي فرد من هذا النسب، من ضمن ذلك إخوة الشيخ وأبناءه وأبنائه الذكور وأبناء إخوته، نظريًا، الوصول إلى زعامة القبيلة، بعد وفاة الشيخ (كما هو محدد بالإجماع بين المجتمع القبلي/ المجلس القبلي أو مجلس الزعماء)، على الرغم من أنه في الممارسة العملية، عادة ما يتولى الابن البكر المسؤولية⁽³³⁾. ولا يمكن لأي قوة أو سلطة خارج القبيلة، ولا حتى الدولة، أن تعين زعيمًا قبليًا. ومع ذلك، فإن الصعوبات الاقتصادية المتزايدة أثرت بشكل كبير على أصغر أفراد المجتمعات القبلية. وقد أدى الضغط المتزايد الذي تمارسه السلطات الحكومية إلى تعديل الأمور المتعلقة بالسلطة القبلية. فضعفت السلطة العمودية التقليدية للشيخ داخل القبائل على مرّ العقود، وتحولت السلطة القبلية عبر نظام صنع القرار الجماعي من خلال شبكات قبلية أكبر وأكثر تعقيدًا تتجاوز السلطة الفردية للشيخ أو عائلته.

(33) (2018) U.S. Library of Congress, Syria.

القبلية والصراع في سورية

يقع على عاتق أفراد القبائل، الذين توحدتهم سلالات/ قرابات الدم، واجب الدفاع عن أفراد القبيلة الذين يهاجمهم أفراد من قبائل أخرى، أو من قبل أفراد خارج النظام القبلي. يستجيب هذا السلوك لمفهوم "الانتقام intiqaaam"، وهو ما يعني الانتقام من جرائم حقيقية أو متصورة ارتكبت ضد أحد الأقارب⁽³⁴⁾. ومع فجر الانتفاضة في سورية عام 2011، شكّلت سلسلة كاملة من الشبكات بيد شباب القبائل الساخطين على السلطات، الذين عاشوا في المدن، ولكنهم يشتركون في هوية قبلية مشتركة. هناك أحداث موثقة جيداً من الصعوبات التي كانت موجودة في اللحظات التي سبقت الثورة، باعتبارها مظهرًا من مظاهر «يوم الغضب» الذي وقع في عموم مدن سورية، من ضمن ذلك ما حدث في 5 شباط/ فبراير 2011، حيث كان هناك حضور قبلي مهم، خاصة من الجبور، وطي وعنزة⁽³⁵⁾. وكان من أولى أعمال هذه الانتفاضة ردة الفعل الشعبية على التعذيب المزعوم الذي تعرض له العديد من الأعضاء قبيلة الزعبي في درعا، على يد عملاء الحكومة. أثارت تلك الحادثة غضبًا شديدًا، وكانت حافزًا للانتفاضات في مدن دير الزور وحمص وحلب، حيث حددت القوانين العرفية العشائرية (العرف) دافع التضامن والدفاع عن النفس⁽³⁶⁾. وأصبح الطفل حمزة علي الخطيب، من عشيرة الزعبي، الذي توفي في نيسان/ أبريل 2011 في درعا، أحد الرموز الرئيسية لـ "الثورة" في سورية⁽³⁷⁾. وكان بشار الزعبي، أحد أبرز المعارضين في المنطقة (أبو فادي)، القائد العام للجهة الجنوبية وقائد لواء اليرموك، وهو من وجهاء وأثرياء قبيلة الزعبي⁽³⁸⁾.

والقبائل الرئيسية في هذه المنطقة هي الزعبي والحريري والنعيم والرفاعي، وقد ساهم كثير من أفرادها في توسع صفوف مختلف الجماعات والكتائب المسلحة المعارضة العاملة في المنطقة، استجابة منهم للقانون العرفي. حاول شيوخ القبائل ممارسة ضغوط كبيرة لوقف هذه الاحتجاجات في محاولة للحفاظ على وضعهم، حيث أثار عملهم هذا سلسلة من الخلافات بين القبائل والعشائر والنسب العائلية، وداخلها، وقسمهم إلى موالين أو معارضين للأسد. وفي وقت لاحق، أخضعت ديناميات الصراع القبائل لضغوط هائلة لاختيار الطرف الذي ينحازون إليه. يجب التأكيد أن الثورة في سورية، على عكس الأحداث في تونس ومصر التي كانت مدفوعة بالاحتجاجات الحضرية، بدأت في المناطق الريفية وضواحي المدن الكبيرة. في سورية، كانت الثورة الاجتماعية احتجاجًا من الأطراف ضد المركز. وبهذا المعنى، لعبت القبيلة دورًا رئيسيًا في انتشار الاحتجاجات في جميع أنحاء البلاد، بطبيعتها وتشتتها. بمجرد إطلاق العنان للعنف العام، سلّحت بعض الجماعات القبلية نفسها كإجراء للدفاع عن النفس. حشد كلا الجانبين في الحرب، الحكومة والمعارضة المسلحة، مواردهما لجذب هذه الجماعات إلى مناطق سيطرتهم واستخدامها سياسيًا وعسكريًا في المعركة.

(34) Scott J Weiner (2016) Kinship Politics in the Gulf Arab States, The Arab Gulf States Institute in Washington, USA.

(35) Haian Dukhan, Sinan Hawat (2014) The Islamic State and the Arab Tribes in Eastern Syria, E-International Relations, Syria.

(36) Alfredo Camosga (2017) Tribalismo en el conflicto de Siria: el contrato tribal, Descifrando La Guerra.

(37) Ibid.

(38) Hugh Macleod, Annasofie Flaman (2011) Tortured and killed: Hamza al-Khateeb, age 13, Al-Jazeera.

على سبيل المثال، كانت قبيلتا بني خالد والموالي من المقاتلين النشطين في المعارضة المسلحة، وتجسدان دور عشيرة محلية ضمن الصراع الدائر في غرب سورية⁽³⁹⁾. شاركت بعض كتائب قبيلة بني خالد التي تقاتل تحت مظلة الجيش السوري الحر في معركة حمص وضواحيها. مثال آخر على هذه الاستجابة هو لواء الدرع التابع للقبيلة نفسها في حماة⁽⁴⁰⁾. وكذلك قاتل أفراد من قبيلة الموالي ضد الجيش السوري، بالقرب من معرة النعمان جنوب مدينة إدلب، حيث الوجود الكبير لهذه القبيلة هناك⁽⁴¹⁾. وتوجد في قوات المعارضة غربي سورية ثلاث كتائب تعلن أصولها العشائرية، من دون الإشارة إلى قبيلة معينة. إحدى هذه المجموعات هي "كتيبة أحرار العشائر"، التي تنشط أيضاً في معرة النعمان⁽⁴²⁾. وتعمل هذه الكتيبة تحت مظلة جماعة المعارضة السنوية المسلحة، أحفاد الرسول Ahfaad al-Rasul. وتأسست كتيبة عشائرية أخرى في درعا، في شباط/ فبراير 2013، على يد منشقين عن الجيش من أصول قبلية من عدة محافظات، ويطلقون على أنفسهم اسم «عشائر الشام الحرّة». وتم دمج هذه الكتيبة ضمن ألوية "العمرى" التابعة لمجموعة "ألوية أحفاد الرسول" في درعا. ولا بد من الإشارة أيضاً إلى أن "جبهة العشائر السورية" تشكلت في حلب في نيسان/ أبريل 2013⁽⁴³⁾.

لعبت بعض الاتحادات القبلية الكبيرة العابرة للحدود الوطنية، مثل العكيدات والبيكارا وشمر، دوراً في تنظيم الميليشيات المسلحة. وشكّل أبناء قبيلة النعيم، وهم من أكبر الاتحادات العشائرية في سورية، لواءً في ريف دمشق. وأصبح اتحاد قبيلة العكيدات من أكثر الجماعات نشاطاً في القتال ضد الأسد، حيث شكلت كتائب عشيرة العكيدات، التي انتشرت على نطاق واسع في جميع أنحاء سورية⁽⁴⁴⁾. وكان هذا الاتحاد حاسماً في تنظيم المجموعة المنفية، مجلس القبائل العربية في سورية. ومن أعضاء اتحاد العكيدات ومعارضى الأسد البارزين، الشيخ نواف الفارس، السفير السابق لدى العراق، والعقيد عبد الجبار العكيدي، وهو قائد عسكري مهم في حلب حتى استقالته، والرئيس السابق لشعبة الأمن السياسي في اللاذقية اللواء نبيل الفهد الدندل⁽⁴⁵⁾. تحتفظ كثير من القبائل الكبرى في شرق سورية وشمال شرقها، مثل شمر والبيكارا والجبور والدليم والعكيدات، بعلاقات وثيقة وقوية مع نظيراتها في المملكة العربية السعودية والعراق⁽⁴⁶⁾. كانت علاقتهم القبلية عاملاً حاسماً في تدويل الصراع من خلال دخول الأسلحة والمعدات من المملكة العربية السعودية عبر الشبكات القبلية العابرة للحدود الوطنية القائمة.

(39) Dafna H Rand, Nicholas Heras (2014) The South Will Rise Again, Foreign Policy.

(40) Nicholas A Heras, Carole AO Leary (2013) The Tribal Factor in Syria's Rebellion: A Survey of Armed Tribal Groups in The Jamestown Foundation. Syria.

(41) Ibid.

(42) Idlib – Announcement of the Formation of a Battalion from the al-Muwali Tribe.

(43) Assurance of Split: Battalion of the Free Tribes of al-Sham. Posted on the Battalion of the Free Tribes of al-Sham Facebook.

(44) Formation of the Free Tribes of Syria, Ugarit News YouTube page.

(45) Nicholas A Heras (2013) The Potential for An Assad Statelet. In: Washington DC, The Washington Institute for Near East Policy, USA, sp. 24.

(46) Alfredo Camposga (2017) Tribalismo en el conflicto de Siria: el contrato tribal, Descifrando La Guerra.

الولاءات المكتشفة

ظهرت جملة من التوجّهات داخل الاتحاد القبلي نفسه، إذ تمزّق أعضاؤه بين داعم للأسد أو للمعارضة. وهذا نتيجة لطابع هذه الجماعات القبلية وانتشارها المحلي وافتقارها إلى التماسك والتشتت في جميع أنحاء الأراضي السورية. وإضافة إلى ذلك، تغيّرت الولاءات القبلية أو تم الطعن فيها، بعد أعوام من السياسات الزبائنية Politics clientelist التي طبّقتها الحكومة المركزية، والتي قوّضت النموذج القبلي التقليدي، وسلطة قادتها بطريقة معينة. ويمكننا التحدث حتى عن تغيير الإيرادات وفقاً لمسار الحرب. حدث هذا لاتّحاد البكارة، الذي اعتنق كثير من أعضائه الإسلام الشيعي⁽⁴⁷⁾، وقد قاتل كثير من أفراد هذه القبيلة في صفوف الجيش السوري في منطقة حلب. في المقابل، فرّ الشيخ نواف راغب البشير، أحد أبرز قادتها في دير الزور، إلى تركيا للانضمام إلى مجلس القبائل العربية وقيادة جبهة الجزيرة والفرات لتحرير سورية⁽⁴⁸⁾. وبعد الهزيمة العسكرية للمعارضة في حلب، في كانون الأول/ ديسمبر 2016، عاد البشير إلى دمشق، وبايع الأسد والجيش السوري، في محاولة للاضطلاع بدور قيادي في دير الزور، مسقط رأسه، في فترة ما بعد الصراع⁽⁴⁹⁾.

من جانب آخر، نظّم الشيخ البشير جماعاتٍ مسلحة لمحاربة الأكراد، في مدينة رأس العين المتنوعة عرقيًا في محافظة الحسكة⁽⁵⁰⁾. تسلّط هذه الأنواع من الأعمال الضوء على مشكلة أخرى كبيرة من مشاكل رقعة الشطرنج السورية، مثل العداء العربي الكردي والتعايش الهش بينهما في المنطقة، بسبب الاحتكاكات التاريخية بين كلتا المجموعتين الاثنتين التي تحدث أساسًا في منطقتي الحسكة والقامشلي. وهناك مثال آخر على هذا الارتباك في الولاءات القبلية، وهو كيفية تنظيم أعضاء قبيلة طي في اللجان الشعبية الموالية للأسد (فيما بعد قوات الدفاع الوطني السورية) بأوامر من عضو مجلس الشعب الشيخ محمد فارس. وقد أُبلغ أنهم شاركوا في القتال في منطقة القامشلي، ضد المقاتلين الأكراد من حزب الاتحاد الديمقراطي (PYD). وعلى الرغم من النفي الرسمي لأي تورط من جانب المجموعتين في هذا القتال، لا يزال التوتر قائمًا بين المجموعتين. وتعود أصول قبيلة طي، التي يمكن مشاهدتها في كلّ من سورية والعراق، إلى اليمن، وربما تكون موجودة قبل تعريب الأراميين، بعد تحوّلهم القسري إلى الإسلام⁽⁵¹⁾. في أثناء الإبادة الجماعية المسيحية 1915 التي ارتكبت زمن العثمانيين، وقّر القائد العسكري اليزيدي لسنجار حامو سارو، مع صديقه محمد شيخ، زعيم قبيلة طي، المأوى لكثير من الأرمن والأراميين وغيرهم من المسيحيين الذين فرّوا من هناك.

(47) Nicholas A Heras, Carole AO Leary (2013) The Tribal Factor in Syria's Rebellion: A Survey of Armed Tribal Groups in Syria, The Jamestown Foundation, Syria.

(48) Nicholas Heras (2017) Bassam Barabandi and Nidal Betare, Deir Ezzour Tribal Mapping Project, Center for a New American Security.

(49) El-Dorar Al-Shamia (2017) Baggara Tribe Shiekh Nawaf al-Bashir arrives in Damascus!

(50) Bradost Azizi (2013) Islamists Fighting Kurds in Syria Admit to Turkish Military Support, Rudaw, Turkey.

(51) Arameans of Aram-Naharaim Organization (2017) Aramean Genocide and the merciful Hammo Sharro of Shingal/ Sinjar, Mohamad Sheikh of tribe Tayy and Sheikh Fathallah of Aynkaf.



يمكن العثور على مثال آخر في قبيلة الحديديين، حيث شكّلت الميليشيات القبلية، إما لدعم حكومة الأسد وإما لمعارضتها، وذلك بحسب موقع مؤسسها، زعيم تقليدي (بشكل عام، مؤيد للحكومة) أو عضو أصغر سنًا. داخل هذه القبيلة، قاتل بعض الأعضاء إلى جانب جماعات المعارضة بالقرب من حلب⁽⁵²⁾. ومع ذلك، ظل آخرون موالين للحكومة السورية، كجزء من ميليشيا يديرها وزير الدفاع، فهد جاسم الفريج، وهو من قبيلة الحديديين، بالقرب من إدلب. تعاونت هذه الميليشيا في توفير الغذاء للقوات الحكومية المحاصرة في حلب. بعد احتلال المناطق التي قاتلت فيها هذه الميليشيا في إدلب، أسرت جبهة النصرة التابعة للقاعدة الشيخ نايف الصالح من قبيلة الحديديين، وقطعت رأسه علنًا، لمساعدته الجيش السوري⁽⁵³⁾، وقد أتهم على وجه الخصوص بهرب الطعام إلى أسوار مطار أبو ظهور العسكري إلى القوات الحكومية المحاصرة. هناك أعضاء من قبيلة البكارة يقاتلون إلى جانب الحكومة السورية ضد المعارضة في حلب، في حين أن أعضاء القبائل الآخرين متحالفون مع القوات المناهضة للحكومة في دير الزور⁽⁵⁴⁾.

أخيرًا، شارك اتحاد شمّر القويّ المهيمن في منطقة الحسكة، وزعيمه الشيخ حميدي دهام الهادي، في الصراع، وذلك بإرسال بضعة آلاف من المقاتلين إلى قوات الصناديد، التي يقودها نجل الشيخ بندر الحميدي. ودُمجت هذه القوات المشتركة في قوات سوريا الديمقراطية، التي يقودها الأكراد وتدعمها الولايات المتحدة وتقاتل تنظيم داعش في شرق سورية⁽⁵⁵⁾. وضمن هذه المجموعة من جماعات المعارضة وجود كردي قوي في صفوفها، وهي تتلقى المساعدة العسكرية والدعم من القوى الأجنبية، ودعمها الأساسي من الولايات المتحدة⁽⁵⁶⁾. ومع ذلك، فإنهم يجمعون أيضًا مقاتلين من أصل عربي، لتهديّة العدوات الكردية العربية المحترمة ولإرضاء القرويين، وهم يحتلون بشكل إستراتيجي مزيدًا من الأراضي إلى الجنوب. هذه الميليشيا التابعة لقبيلة شمّر لها صلات مهمة مع الأنظمة الملكية الخليجية⁽⁵⁷⁾. وتضم جماعات قبيلة شمّر كثيرًا من القبائل الفرعية، مثل عبدة والأسلم وزوبع⁽⁵⁸⁾. ويقدر أن عدد سكانها يبلغ 3 ملايين ونصف المليون نسمة، في المنطقة الشرقية من سورية. وهي تقيم صلات مهمة مع الجماعات القبلية في محافظتي الأنبار والمنطقة المحيطة بالموصل في العراق، التي تدرّبها وتسلّحها القوى الغربية⁽⁵⁹⁾.

منذ اللحظة الأولى للصراع، حاولت الحكومة السورية التحالف مع أكبر عدد من الشيوخ وأفراد القبائل، حيث رعى الأسد سلسلة من المؤتمرات تحت اسم "ملتقى العشائر السورية والعربية"⁽⁶⁰⁾، مؤكدًا دورهم كخط مقاومة أول للتدخل الأجنبي في الحرب. وفي محيط الحسكة، يقاتل أفراد من قبيلتي طي والجبور في صفوف الحكومة، بسبب الوضع غير المستقر لهذه المجتمعات نتيجة الضغط المتزايد من الجماعات الكردية. عمومًا، كان الشيوخ والزعماء التقليديون الأكبر سنًا أكثر حذرًا وترددًا في دعم الثورة، وأدى ذلك

(52) Dawn Chatty (2013) Syria's Bedouin Enter the Fray, How Tribes Could Keep Syria Together, Foreign Affairs Magazine.

(53) Zayd al-Mahmoud (2015) Jabhat al-Nusra executes Sheikh al-Haddidien, all4Syria.

(54) Haian Dukhan (2016) Tribes of Syria: Pieces on a chessboard? Hate Speech International.

(55) -Revolyv (2018) Humaydi Daham al-Hadi.

(56) Tom Perry (2017) Raqqa to be part of 'federal Syria', U.S.-backed militia says, Reuters, UK.

(57) Gregory Gause (2007) Threats and Threat Perceptions in The Persian Gulf Region, Middle East Policy Council.

(58) Shammar (2008) Gregory Gause, Threats and Threat Perceptions. In: The Persian Gulf Region, Middle East Policy Council.

(59) Tishreen (2012) Syrian and Arab Tribes Forum Declares Collaboration with Foreigners Prohibited.

(60) Haian Dukhan (216) Tribes of Syria: Pieces on a chessboard? Hate Speech International.



إلى انقسام مهم بين الأجيال في الشبكات القبلية. وتبقى القبائل البدوية قوًى مفككة قوية في الصراع الحالي في سورية، وخاصة في المناطق الجغرافية التي كان حضور الدولة فيها ضعيفاً أو غائباً؛ حيث حاولت الجهات الفاعلة المحلية والأجنبية في الصراع التأثير في القبائل أو كسبها إلى صفها، ضمن وجهات النظر المحددة في الإطار الذي أنشئ بعد الحرب.



القبائل وصعود داعش

كان لصعود تنظيم داعش وصراعه مع جبهة النصرة، في شرق سورية في نهاية عام 2014، عواقب وخيمة، إذ أدى إلى حدوث انقسام قبلي كبير في كثير من العشائر. وقد اندفعت عشائر قبيلة العكيدات إلى التحالف مع جبهة النصرة أو داعش⁽⁶¹⁾. وكانت خلفية الاشتباكات هي السيطرة على حقول النفط المهمة في محافظة دير الزور، بعد انسحاب الجيش السوري. وكان أفراد عشيرة البكّير متحالفين مع داعش، في حين قاتل أفراد عشائر البوكمال والشعيطات مع جبهة النصرة في معاركهم ضد داعش⁽⁶²⁾.

انتهت هذه الحرب الضروس الداخلية بهزيمة كاملة لجبهة النصرة، ولحلفائها الذين باتوا معزولين خارج قبيلتهم، أو انتهت في بعض الأحيان بمجازر حيث صُلب أكثر من 700 فرد من قبيلة الشعيطات، جنوب محافظة دير الزور وفي مدن أبو حمام والكشكية وجرانج⁽⁶³⁾. انتظم أفراد قبيلة الشعيطات في ميليشيا قبلية تسمى "أسود الشرقية"، شكّلت من بضعة مئات من المقاتلين تحت قيادة طلاس السلام (أبو فيصل)⁽⁶⁴⁾. وبعد هزيمتهم الساحقة على يد الجيش السوري، فرّ أفراد العشيرة إلى مناطق النظام، للانضمام إلى صفوف الجانب الموالي للحكومة في محافظة حمص، وبايعت أقلية منهم تنظيم داعش.

خوفاً من احتمال إنشاء جيب كردي مستقل في سورية، انخرطت تركيا في السياسات القبلية، من خلال الترويج لإنشاء «جيش القبائل الشرقية»، وهو تجمّع لرؤساء (45) عشيرة في محافظات دير الزور والحسكة والرققة⁽⁶⁵⁾. هدف الخطوة التركية هو الاستفادة من التنافس العربي الكردي القديم، لمواجهة النفوذ المتزايد لحزب الاتحاد الديمقراطي في الأراضي التقليدية للقبائل العربية، وإبطال التهديد الإقليمي الذي يشكله حزب العمال الكردستاني (PKK) والمنظمات الحليفة ذات الصلة، مثل وحدات حماية الشعب (YPG). وقام تنظيم داعش بتنشيط الخصومات القبلية، من خلال إطلاق مقاطع فيديو لزعماء القبائل، من ضمن ذلك البكارة، والعكيدات، والجبور والبو شعبان، وهم يبايعونها على الخلافة⁽⁶⁶⁾. وحاولت المنظمة الإرهابية توليد الدعم من خلال اللعب على الانقسامات الناجمة عن التغيرات الاجتماعية داخل الهياكل القبلية، لجذب جيل جديد من القادة الطموحين الذين يرفضون الهياكل التقليدية، من خلال تقديم فوائد لهم من تهريب النفط. وهذا ربما يفسر تصرفات أحد كبار المسؤولين السابقين عن أمن الخلافة في الرقة، أبو عبد الرحمن الأمّني، المعروف باسم علي السهو، الذي قام بتجنيد شباب من قبيلة "البو شعبان"، فضلاً عن شباب من قبائل أخرى لداعش⁽⁶⁷⁾.

(61) Souriatna (2014) ISIS and the tribes in the Syrian Jazirah, Center for Environment and Social Development.

(62) Oliver Holmes, Suleiman Al-Khalidi (2014) Islamic State executed 700 people from Syrian tribe: monitoring group, Reuters.

(63) Alexander Killian (2017) Jaysh Usud al-Sharqiya: Exiles of the Euphrates, Bellingcat, UK.

(64) Yallah Souria (2016) FSA meets with Syrian Tribes and clans chiefs.

(65) Alfredo Camposga (2017) Tribalismo en el conflicto de Siria: el contrato tribal, Descifrando La Guerra.

(66) Haian Dukhan (2016) Tribes of Syria: Pieces on a chessboard? Hate Speech International.

(67) Syria Direct (2017) After 6 months, first aid delivery to Jordan border camp 'lightens the burden of living in the middle of the desert'.



أخيراً، لا بدّ من النظر في الدور الذي لعبه الأردن على الحدود الجنوبية للحرب. حيث شجعت عمّان على تشكيل ميليشيات عشائرية، لمواجهة نفوذ تنظيمي داعش وجبهة النصرة في المنطقة. وأدت المبادرة الأردنية إلى إنشاء «جيش أحرار القبائل» المؤلف من مقاتلين من عشائر مختلفة⁽⁶⁸⁾. وأغلب مقاتلي هذا الجيش هم من أبناء قبيلة النعيم، الذين تربطهم روابط قرابة بدول مثل قطر والبحرين، وسلح الأردن أيضاً أعضاء من قبائل الحريري والمسالمة والزعبي والفضل⁽⁶⁹⁾. وفي المنطقة نفسها، كانت ميليشيا جيش مغاوير الثورة أو الجيش السوري الجديد، مدعومة من الولايات المتحدة، وهي قوة مهمة تعاني أيضاً جملة من الانتكاسات العسكرية الكبيرة في مدينة البوكمال. وهناك مجموعة ميليشيا قبلية بارزة أخرى هي «لواء ثوار الرقة»، الذي شكّله أعضاء من قبائل: المشهور، والبوعساف، والبوخميس، والجيس، والبوشمس، والبوجراد، والبوعيسى في محافظة الرقة⁽⁷⁰⁾.

(68) Alfredo Camposga (2017) Tribalismo en el conflicto de Siria: el contrato tribal, Descifrando La Guerra.

(69) Aymenn Jawad Al-Tamimi (2015) Liwa Thuwar al-Raqqa: History, Analysis & Interview, Middle East Forum.

(70) Haian Dukhan, Sinan Hawat (2014) The Islamic State and the Arab Tribes in Eastern Syria, E-International Relations.



الخاتمة

تُعدّ القبلية عاملاً مهمًّا، يجب أن يؤخذ بالحسبان في ديناميكيات الصراع الحالي في سورية. حتى الآن، لم يتم إيلاء أي اهتمام أو تمحيص علمي كبير لهذه المسألة. ومع ذلك، من المهمّ فهم تطورها والسيناريو الذي قد يأخذه عندما ينتهي الصراع، خاصة عند النظر في دور جميع الجهات الفاعلة المعنية، الداخلية والخارجية. حاولت الولايات المتحدة وروسيا وإيران والمملكة العربية السعودية وتركيا استغلال القبائل، من أجل استخدام شبكاتها وقوتها البشرية ونفوذها. إن ما أصبح يسمى بالثورة السورية، ضمن سلسلة الثورات منذ بدء الربيع العربي، كان مختلفًا تمامًا عن الانتفاضات الحضرية السابقة في تونس ومصر. وفي سورية، كانت «ثورة الأطراف»، أي ثورة العالم الريفي، حيث لعبت المجتمعات القبلية دورًا مركزيًا، ولكنها لم تلعب دورًا حاسمًا على الإطلاق.

اتبع تطوّر الصراع السوري مسارًا معروفًا بالفعل، كما كان قد تطوّر في أجزاء أخرى من العالم. وتحاول الجماعات الجهادية مثل تنظيم القاعدة العثور على ملاذات أمنة، في المناطق الحدودية التي يسكنها عادة أفراد من القبائل، مثل وزيرستان في باكستان، أو شبوة في اليمن، أو الأنبار في العراق، وكذلك الحال السورية، حيث ركّزت على المناطق التي يكون فيها وجود سلطة الدولة المركزية ضئيلاً أو معدومًا، وحيث يمكنها العمل بسهولة نسبية ضدّ القوات القبلية العسكرية التي تنشر تكتيكات التمرد وحرب العصابات.

مركز حرمون للدراسات المعاصرة

مؤسسة بحثية علمية مستقلة غير ربحية، تدعم الابتكار النظري المؤسس على اشتقاق المعرفة من الواقع. وتهتم بقضايا الإنسان السوري الراهنة وبمستقبله، وبالصراع الدائر في سورية وآفاقه، وبسبل الانتقال إلى الدولة الوطنية الحديثة.

تنتج المؤسسة دراسات وأبحاثا سياسية واقتصادية واجتماعية وفكرية، وتنفذ مشاريع، وتقوم بنشاطات وتجري حوارات، وتطلق مبادرات، وتعمل لأن تكون ساحة للنقاش العمومي، مستندة إلى القيم المعاصرة للعقلانية والحرية والديمقراطية والعدالة، وحقوق الإنسان، وقيم المواطنة.

WWW.HARMOON.ORG



Harmoon Center for Contemporary Studies

Doha, Qatar:

Tel. (+974) 44 885 996

Istanbul, Turkey:

Tel. +90 (212) 813 32 17

Tel. +90 (212) 542 04 05 PO.Box: 34055